باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وايناساً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ التهذة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن براعة كلهِ. ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي فيهِ الادراج وعدمهُ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) ان الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف الغطاء غيرهُ عظيماً كان المعترف بالاعلى اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

فتح مصر في خلافة عمر

الى العالمين الفاضلين صاحبي المقتطف الزاهر

سلام من الله عليكم ورضوان وبعد فالمتواتر المشهور والشائع المأثور في كتب التواريخ العربية التي ظهرت قديماً وحديثاً ان العرب لما زحفوا على بيت المقدس وحاصروهُ في اخريات عام ٦٣٦ م الى اول عام ٦٣٧ م ثم رضي صوفرونيوس بتسليمهِ للامام عمر نفسهِ سأل عمرو بن العاص الامام عمر واحٌ عليهِ ان يجهزهُ بجيش فيفتح بهِ مصر وبيَّن لهُ مزايا هذا الفتح وفائدتهُ للمسلمين الى آخر ما هنالك. وقالوا ايضاً ان عمرًا لما الحَّ في الطلب جهزهُ عمر باربعة آلاف فارس من اشداء العرب وقال لهُ ما مؤداهُ ان سرت على بركة الله فان ادركك كتابي الذي سأرسلهُ اليك بعد مسيرك وقد جاوزت ارض مصر فسر على بركة الله والى عدك وان وصلك ولم تكن وطأت شيئاً من ارضها فارجع عنها. ثم ان عمرًا تجهز وسار ثم وصلهُ الرسول بخطاب امير المؤمنين فلحذقهِ ودهائهِ لم يفضهُ الاَّ في العريش في صلاة الصبح فقرأهُ على اصحابهِ وسألهم اين نحن فقالوا في ارض مصر فقال اذن نسير اليها طوعاً لكتاب امير المؤمنين واشارتهِ

الناظر الى هذه القصة التاريخية بعين التأمل البصير الذي يسبر الامور بمسبار الفحص والتدقيق يستنتج نتيجتين (اولاهما) ان الشرط الذي اشترطهُ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ على عمرو بن العاص شرط واهٍ كالا يخفى وقد ابطلهُ عمرو بن العاص بعدم فضهِ الكتاب الى ان وصل ارض مصر (ثانيتهما) كيف يمكن ان الامام عمر يأمر بجند جيش كبير وتكليفهِ مشقة السفر مسافة طويلة ثم يستدعيهم راجعين قانعين من الغنيمة بالاياب. وكيف يكون

الحال اذا قضي الامر ونشبت حرب بين فرنسا والمانيا ثم جهز امبراطور الالمان قائدًا بسكر جرار فوصل هذا الى الحدود الفرنسوية وكاد يخطفها فامرهُ الامبراطور بالرجوع لغير سبب معقول. ومما يمكن ملاحظتهُ ايضًا ان عمرو بن العاص وصل الى العريش في العيد الكبير الموافق ١٢ ديسمبر سنة ٦٣٩ م على ما حققهُ المحققون ثم انهُ خرج بجيشهِ من عند عمر في بيت المقدس في اول سنة ٦٣٧ م كما تقدم فكأن عسكرهُ قطع المسافة بين بيت المقدس والعريش في نحو ثلاث سنوات على ظهور الجياد العربية والابل السريعة . فكيف ذلك والمسافة قصيرة كما لا يخفى . والحقيقة ان عمرو بن العاص لم يذهب من فلسطين الى ارض مصر توًا بل اشترك في فتح قيسارية بعد فتح بيت المقدس ثم عرض عمر بن الخطاب عليهِ فتح مصر ووافقهُ عليهِ وارسل لهُ خطابًا بذلك وهو في قيسارية على نحو ما رواهُ البلاذري المؤرخ العربي الذي عاش قبل ابن الاثير بزمن بعيد فسار في جناح الليل مستترًا . اما الخطاب الذي زعموا ان عمرًا قرأهُ على اصحابهِ في العريش بعد صلاة الصبح فكذوب على عمر بن الخطاب (رضه) على ما يظهر

هذا ما عنَّ لنا ابداؤهُ في هذا البيان التاريخي المختصر جئنا بهِ على صفحات المقتطف راجين ان نرى ما يقولهُ علماء التاريخ فيهِ ولهم الفضل

حسين لبيب
بالقسم العالي من مدرسة المعلمين الخديويَّة بمصر

القاهرة في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٨

تعليم الانشاء

سيدي صاحبي المقتطف الاغر

تناولت العدد الثاني عشر فرأيت السؤالين اللذين تكرمتما بالاجابة عليهما . غير اني لم اقصد بسؤالي الاول ان استفهم عن طريقة تعلُّم الانشاء فان ذلك قد ورد جوابهُ على صفحات المقتطف غير مرة . انما اردت ان استشيركم عن افضل طريقة لتعليم هذا الفن للطلبة . فاني قد مارست تدريسهُ مدة طويلة جربت في اثنائها عدة كتب فلم ارَ بينها ما يناسب الحال تمامًا . وقد رأيت كما ربما رأى غيري صعوبة تعليم هذا الفن خصوصًا في الصفوف الابتدائية ومن جملة تلك الصعوبات ان الكتابة العربية مهما كانت بسيطة لا تستغني عن الحركات الاعرابية . واتقان تركيب الجملة لا بدَّ لهُ من الالمام ببعض قواعد النحو الرئيسة . وبمناسبة ذلك اذكر لكم ما يخطر لي من هذا القبيل لتروا فيهِ رأيكم

بين ايدينا كتب انكليزية متناسقة لتعليم الانشاء الانكليزي تجمع بين القواعد اللغوية والاصطلاحات الكتابية والاملاء ويتبع كل ذلك تمارين خاصة بكل من تلك الفروع تخللها قصص تتدرج في الطول وحسن السبك وبلاغة التعبير . ويتبع ذلك دروس في مواضيع علمية وادبية ثم اصلاح اغلاط الى غير ذلك وقد استعملنا هذه الكتب فرأيناها وافية بالغرض وصار الطلبة اميز في الكتابة الانكليزية منهم في العربية

وعندي انهُ ان كان الانكليز قد رأوا انفسهم محتاجين الى تلك الطريقة فنحن احوج منهم اليها بل هي مما لا يمكننا الاستغناء عنهُ للصعوبات اللغوية المذكورة — وعليهِ اقترح عليكم ان تقترحوا على القراء انتقاد هذه الطريقة حتى اذا رأوا انها مناسبة يختارها احد الادباء او المدرسين بكتاب في الانشاء على هذا الاسلوب مؤلف من عدة حلقات تكون كل حلقة منهُ موافقة لسنة من سني الطالب ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل على المعلم والتلميذ

هذا رأيي اعرضهُ على علمكم الواسع واختباركم الطويل فان كان لكم طريقة افضل فارجو ان تتكرموا بالاشارة عليَّ بها وتدلوني على افضل الكتب التي يعول عليها

القدس الشريف توفيق زيتق

[المقتطف] نشرنا رأيكم واقتراحكم ليرى القراء رأيهم فيهما . ولا يخفى ان التفوق في الانشاء من المزايا الطبيعية كالتفوق في الغناء والتصوير فلا ينتظر ان ينبغ الجميع فيهِ على حدٍّ سوى ولو تعلموا وتدربوا على طريقة واحدة وقد ينبغ فيهِ المرء من غير ان يُعلَّم ويتدرَّب لكن ذلك لا ينفي فائدة التعليم والتدريب

كتاب في المنطق

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

نشرتم في العدد الماضي من المقتطف اسماء بعض كتب المنطق التي يحسن تعلُّمها وعندي نسخة خطية لدروس التي كان يلقيها علينا في المدرسة الكلية استاذنا الفاضل ابرهيم افندي الحوراني وهي من افضل ما وضع في هذا الفن لانها سهلة المأخذ وقريبة المنال وحسنة الترتيب والتنسيق وباحبذا لو كان حضرة الاستاذ يمثل كتابهُ هذا للطبع او يسمح لبعض تلامذته بطبعهِ

الدكتور امين ابو خاطر

مقدمة الطبعة الثانية

من شرح مختار على مذهب دارون

اخوي الفاضلين منشئي المقتطف

نقد شرح مختار على مذهب دارون الذي ترجمتهُ وطبعتهُ منذ خمس وعشرين سنة ورغب اليَّ كثيرون في اعادة طبعهِ فتحتهُ وقدمت لهُ مقدمة مسهبة بعثت اليكما بالقسم الاول منها راجياً ان تشتراهُ ليطلع عليهِ قراء المقتطف شبلي شميل

كم انت متمسك بما نشأت عليهِ ؟ فانا كنت مثلك واكثر. وما استمسكت بهِ عن تروٍّ في اول الامر لانك كنت صغيراً لا تستطيع ان تقيم احكاماً لك من نفسك تستقرُّ عليها بل عن اعداد لك بالوراثة وانطباع فيك بالتربية وعليهِ الحديث " يولد الطفل على الفطرة وانما ابواهُ يهودانهِ او ينصرانهِ او يمجسانهِ " فالتربية تجد الطفل على الفطرة ليناً غير قاس فلا تجد صعوبة في تكييفهِ فتؤثر فيهِ تأثير الطابع في الشمع وبالتكرار والاستمرار يستقيم المزُّ على المطبوع وينفر اذا حاولت تحويلهُ عنهُ كما يستقيم العود على اعوجاجهِ وينكسر اذا حاولت تقويمهُ وعليهِ المثل " العلم في الصغر كالنقش في الحجر " ثم ينتقل هذا التكييف في النسل بالوراثة فيولد الطفل وبهِ استعداد غريزي لميل مع هذا الانعطاف او ذاك

ثم لما كبرت وصرت قادراً على التفكير والحكم بنفسك لم تتفكر غالباً لتمحيص ما نشأت عليهِ بل كنت دائماً تجاول تأييدهُ بكل قوة عقلك كما سنحت لك الفرصة بحيث لم تكن في احكامك مستقلاً البتة عن فعل المؤثرات التي نشأت عليها من التربية البيتية والمدرسية والاجتماعية ولهذا كان اكثر الناس غير مستقلين في احكامهم خاضعين فيها للمؤثرات السابقة المكسوبة والراسخة فيهم مهما اتسعت دائرة معارفهم وعمت مداركهم ولا يشذُّ عن ذلك الاَّ النزر اليسير لاسباب خاصة تحف فيها عليهم وطأة هذه التربية واشد هؤلاء استقلالاً اذا عمت مداركهم قليلاً يرجعون في عواطفهم الى بديهاتهم فيناجي الكافر ايمانهُ ويقع الصلح الاجتماعي في خطاء النظام الذي يشكو منهُ حتى اذا فكر قليلاً انكر عملهُ هذا على نفسهِ وهذا يدلك على ما للتربية الاصلية من السطوة على العواطف والعقول. وكثيراً ما يتخذ ذلك اصحاب هذه المبادىء دليلاً على صحة مبادئهم ويقولون ان مثل هذا الانعطاف الذي يعبرون عنهُ بالوجدان ايضاً غريزي في الانسان فلو لم يكن صحيحاً لما كان كذلك . والحال ان ما نشاهدهُ في الطفل الذي لا يزال على الفطرة لا يؤيد هذا القول بل

يتأتى في اكثر الاحيان فلا منا الاَّ من سمع من اطفال عند اول نطقهم اعتراضات معقولة ضد مبادئنا المقررة كثيراً ما يتعوَّد منها الجاهل و يبتسم لها العاقل ولكننا نصرفهم عنها بما لنا عليهم من السلطة حتى يقرُّوا اخيراً على ما هو مقرَّر عندنا

فالانسان في اكثر احواله والكاره ليس ابن غرائزه بل صنع تربيتنا من المهد الى اللحد ولو ترك لغرائزه لكان في مجموعه ارقى منهُ اليوم بكثير ولكن كيف يتسنى لهُ ذلك ونحن بتربيتنا لهُ نشرع بقتل كل مميزاته وهو طفل في البيت اولاً ثم في المدرسة حتى اذا خاض الاجتماع وبه بقية باقية تكفَّلت كتبنا الدينية والادبية والفلسفية الخيالية والخرافية ونظاماتنا الاجتماعية بالاجهاز عليها فيزول الانسان الطبيعي بالكلية ولا يبقى الاَّ الانسان المصنوع على خلاف الطبيعة

والحق يقال ان الشر الاكبر من التربية المدرسية لانها تربي الطبقة الراقية من الامة التي عليها المعول في تدبير شؤون الاجتماع . فالتعليم في اكثر هذه المدارس حتى في ارقى المعمورة اليوم وخصوصاً التعليم الاعدادي قاتل لهذه المميزات فضلاً عن ان تعد العقل وتمهده لقبول زرع العلم على الاطلاق وتقوي فيه مزية الاستقلال في الاحكام تراها تشغل عقل الطفل منذ حداثته وهو الين من الشمع طراعية وتعدهُ اعداداً مخصوصاً لغاية مخصوصة فتنزع منهُ استقلالهُ وكل مميزاته وهي بذلك تقدم مبدءاً معلوماً لا يطلق العلم فيشب الطفل في عقلهِ ضيق الفكر قليل الشاسع اعور الواقع لا يبصر بعقلهِ الاَّ من جهة واحدة ولا يسير بهِ الاَّ في سبيل معلوم

ولا نقتصر على ذلك بل نعمل بجانب هذه المبادىء مبادئ العلوم الاخرى الحقيقية وهي منافضة لتلك ولكنها نحاول ان تطبقها عليها فنوسع مجال الاجتهاد وتزيد العقل ارتباكاً بما كان في غنى عنهُ لو اقتصر التعليم على العلوم الحقيقية وعلاقتها بالحياة العملية عوضاً عن هذا الاجتهاد العقيم في تطبيق مبادىء المتناقضة على حياة خياليَّة دينيَّة او ادبيَّة لا تتفق مع الواقع في شيء وتزيد الانسان شقاء في حياته الاجتماعية فوق شقائهِ الطبيعي المحتوم . فالتعاليم الدينيَّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتدُّ بهِ وهو بالواقع لا يفصلهُ عنهُ شيء حتى ولا الموت . والحياة الأدبية تصورهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما تخيَّل في لا كما هو فتزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلُّفاً ورياء . وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا بدَّ للانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزقهُ اي ممزق وهو الخاسر في هذا التنازع . ولو بني دين الانسان على علاقتهِ

الحقيقية بالطبيعة واقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعماله متناسباً مع نفسهِ متوافقاً مع تعاليمهِ غير مضطر ان يقاوم تعاليمهُ في كل خطوة يخطوها كعقبات اقامها هو نفسهُ في سبيلهِ " وكم ذا يلاقي ان يشأ دكها عني " ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظرية المضللة المبنية على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية المادية الى السبيل القويم المبنية على العلم الحقيقي ولما كان بهِ من حاجة الى اقامة تلك العلوم التي هي اشبه شيء بهذيان المصدعين الا وهي علوم الكلام على الاطلاق لتفسير ما لا يفسَّر وتأويل ما لا يؤوَّل وتطبيق ما لا يُطبَّق التي اضلَّت عقولاً كثيرة وغلَّت عن العمل ايدياً كثيرة فلم تنفع الاجتماع بشيء بل اضرَّتهُ اذ اضلَّتهُ واصبحت عالةً عليهِ وهي فوق ذلك اغتصبت مقاماً ممتازاً لها فيهِ حتى انطبق عليها مثل هذا القول

اذا شئت ان ترقى ذرى كل مقولٍ ... فاكثر بهِ من كل لاغٍ ومهمل
وحافظ على خطوٍ تقادم عهدهُ ... كأنك فيهِ بين ربٍّ ومنزلِ
وحدِّث بآلاء الكتاب وآيهِ ... وان انت لم تفهم ففسر وأوِّلِ
ولو انت تأتي فيهِ كل غريبةٍ ... وتأخذ سبيل تأويلهِ كالمضلِّلِ
فان كلام الله ما انت جاعلٌ ... وان كلام الغدّ ما ليس يجهلِ

ولقد حلَّ طيف هذا النهج في النظر على سائر اعمال الانسان ونظاماتهِ حتى علومهِ فصارت علوم اللغة محاكمات لا طائل تحتها لا كلاماً وضع للتعبير عن الفكر والشعر اغراباً لا ابداعاً في وصف الحقائق . وعلوم الفقه مخالفات ينتزل العقل فيها الى حد التبذل . والطب شعوذة لاستنزال الاسرار وتحويل الاقدار لا تعرف نواميس الطبيعة تمهيدها . وعلوم القوانين لاهوتاً ثانياً لا يفهم . وعلم المحاماة مخرقة وتفنناً في المشاغبات لا دليلاً مرشداً الى الحق رادعاً للباطل . وسارت علوم الآداب والفلسفة المترتبة على ذلك كلهِ هياماً في الاوهام لا ضابط لها الاَّ الخيال وعلى هذه المبادىء الخرة شاد الانسان بنيان نظاماتهِ الاجتماعية المتقلقلة التي طالما أنَّ الاجتماع منها حتى بلغ صراخهُ عنان السماء

وليس العجب من ان طائفة البداغوجيين يرفعون شأن هذه العلوم الى حدٍّ فائق ويطلقون عليها اسم الآداب العالية بل العجب من تهجم بعضهم على الحط من شأن العلوم الحقيقية بالنسبة اليها كما جاء في احدى خطب افتتاح الجامعة وجعلها سلماً يرتقى بهِ اليها ومعقلاً للعقول . نعم لو كان يفهي في تدريسها معنى الطبيعيين اي النظر الى نشوئها وتقلب الانسان في صوابهِ وخطائهِ فيها كما يفعل اليوم في الكلام على نشوء الكون لكانت

سلماً سلمياً ومعقولاً لصقل العقول واما وهي كما في مخلفات تاريخية كحكايات الغول والعنقاء وفلسفة خارقة العقول وآداب كريمة القبور المكلسة فهي سلّم واهي الدرجات متناثر القوائم وحبال كحبال العقدة التي لا تحلّ . ولو استقرينا تاريخ هذه الجامعات والغاية التي وضعت لاجلها في اولها وآثار هذه الغاية فيها حتى اليوم لما فتئنا بافتياسنا نظاماً اوشك ان يتداعى في ارض منشإهِ ولاعتضنا منهُ باقامة الكليات المطبقة على احتياجات العصر والتي هي بالحصر سلّم الارتقاء الحقيقي

وضرر هذه التعاليم على الانسان وعلى الاجتماع واضحٌ من انها قائمة على تخرصات واوهام بعيدة جدًّا عن الحقائق الطبيعيَّة التي هي بالحقيقة المدرسة الاولى للانسان . ولو اقتصر العيب فيها على هذا الامر فقط لما كان الضرر كبيرًا جدًّا ولكان هذا الخطأ مما لا بدَّ منهُ لجهل الانسان علاقتهُ بالطبيعة في اول الامر لقلة تعرُّفهِ لها ولامكان لهُ الانتقال فيها من الخطاء الى الصواب شيئًا فشيئًا من غير عناء كما زاد فيها اختبارًا . ولكنهُ لم يفعل فانهُ لم يقف امامها صامتًا يسألها ان تفتح عليهِ بما استغلق من اسرارها بل لاسباب كثيرة اختلط الامر عليهِ فوقع في الشبهات وبنى على هذه الشبهات مذاهب وتعاليم كان المبدأ فيها خارجًا عن الطبيعة مستوليًا عليها وحاكمًا عليهِ ولكنهُ غير خاضع فيها لناموس الَّا ما شاءت الاقدار ثم استمسك بهذه المبادىء متقلبًا فيها معددًا وموحدًا ولم يتحوَّل عنها فاقامها عقبات حالت بينهُ وبين سهولة تعرُّفهِ للعلاقة التي بينهُ وبين الطبيعة وما زال يتعثَّر فيها حتى اليوم ولن يزال كذلك زمانًا طويلاً ايضًا بشدة وسوء [illegible] فيهِ بتقادم العهد

وبقي الانسان يتقلب على هذه المبادىء ويتخبط فيها عصورًا متطاولة جدًّا ولم يتحول عنها قيد شبر في آدابهِ وطرقهِ ونظاماتهِ حتى عصور التمدن اليوناني فقد قام حينئذٍ فلاسفة بنوا فلسفتهم على الحدس الصادق لا على العلم الصحيح وصرحوا بعلاقة الانسان بالطبيعة علاقة شديدة . على ان الوحيد الذي قال بهذه العلاقة وبناها على العلم الطبيعي هو ابو الطب ابقراط فانهُ اول من صرَّح بان اسباب الامراض طبيعية مع انها لذلك العهد كانت تعتبر الهية وتعالج في المعابد وهذا واضح من كتابهِ الاهوية والمياه والبلدان وكتابهُ هذا اعظم اثر وصلنا عن الاقدمين لا من حيث الكلام على علاقة الامراض بالطبيعة فقط بل من حيث كلامهُ ايضًا على تأثير الاقليم والغذاء والتربية في تكييف الاحياء . فابقراط اول واضع حجرًا على وجه علمي في اساس مذهب الشوء قبل لامرك وجفروي سنتيليار وداروين بزمان طويل . ومع ذلك فابقراط نفسهُ لم يستطع او لم يجسر في ذلك الوقت ان يجعل اسباب

الامراض كانة طبيعية بل فصل الامراض العصبية عنها كالصرع وجعلها تحت سلطان قوى فائقة الطبيعة وهذا يدلك على شدة تأثير التربية الاولى وسلطان التعاليم السابقة على العقول

على انهُ مهما بلغنا عن تمدن الاقدمين فان الاجتماع لم يرقَ بهِ كثيرًا رغمًا عن الدلائل التي يتخذها البعض حجة على هذا الارتقاء بسبب مباديء التعليم السالف ذكرها. وبالحصر فهذا الارتقاء لم يكن الاَّ في بعض الصنائع المتعلقة بالبناء والفنون الجميلة كاقامة الآثار الضخمة والتماثيل المتقنة وهي تدل دلالة واضحة على الضغط الشديد الى حد العبودية من جهة والسيادة المطلقة الى درجة التأله من جهة أخرى . وشرائع الاجتماع في كل تلك العصور السابقة كانت مبنيَّة على هذا التقسيم والاجحاف بمصالح الجمهور. واني لا اتمنى لك تمدنًا كتمدن عصر سقراط ولا تمدن باني الاهرام ولا تمدن الرومان حتى ولا تمدن عصر العباسيين ولا تمدن الامم النصرانية بعد خروج الاسلام من الاندلس وقبل الثورة الفرنسوية والاَّ فاكون قد تمنيت لك ان تكون عبدًا ذليلاً لا تملك ادنى حرية لا في القول ولا في الفكر ولا في العمل ومع ذلك فكل هذه العصور قد امتازت بهذه الآثار البديعة التي لا تعادلها آثار بعدها. ويمكن الجزم بانهُ لا يمكن ان تعادلها آثار في المستقبل ولكنها بالحقيقة آثار لا قيمة لها في المنافع العمومية التي تعظم قيمتها وتعظم الاعمال التي تقام لها كلما ارتقى الاجتماع. فالوثنيَّة قد ابدعت في فن النقش لانها ارادت ان تقيم الاصنام لآلهتها فاقامت لها الهياكل الفخيمة ونصبت لها التماثيل البديعة. والنصرانيَّة اتقنت فن التصوير لانها ارادت ان تشخص وقائع دينها وصور قديسيها فتركت لنا من ذلك آثارًا لا تبارى. وما بناه الاهرام وبعلبك وتدمر وسواها من الآثار التي تعد من معجزات العصور السالفة الاَّ دليل ناطق على ما بلغ اليهِ البشر في تلك العصور من الذل والعبودية والتفاني في عبادة معبوداتهم والخضوع لملوكهم الذين رفعوهم درجات فوقهم حتى خلطوهم بالآلهة و باتوا بهم اذل من الحيوان

مصرُ هل انت غير ما هنَّ ان لَـ ـا شدادًا وان فسونا ركاكا
ذاك خلق من صنع فرعون لمـا شاد اهرامهـا تناغي الـكاكا

وهي كلها بالحقيقة آثار تخدم اغراضًا خاصة ولا قيمة لها في المنافع العمومية

واذا كان التمدن الاسلامي لم يترك لنا شيئًا يعتد بهِ من مثل هذه الآثار فليس لان حال الانسان يومئذٍ كان اصلح منهُ في الماضي خصوصًا بعد ان اوغل في الفتح واستتبت السيادة لهُ واستأثر سلاطينهُ بالسلطة واستبدوا بالرعايا بل لان الدين نفسهُ قام لنقض الوثنية وهدم الاصنام ونفي تعدد الآلهة فعبد الهًا واحدًا مجردًا عن ذاتهِ لا لصفاتهِ فلم يشأ لئلا تعود العبادة

الى الاصنام . وقد تقضي بالامر فحظر نقش التماثيل الاعتيادية حتى الدمى ولولا الامم الاخرى لبادت به صناعة التصوير بالقلم والحفر وهو مع ذلك لم يترك شيئاً عظيماً من آثار المنالع العمومية التي تدل على صلاح حال الانسان في دنياه وارتقاء المجتمع . واعظم ما تركهُ آثار ادبية خدمة الغاية الدينية وقد فاق بهذه الآثار جميع الامم التي تقدمتهُ

ولما كانت هذه مبادئ الانسان في حياته كان كل مجهاهُ في علومهِ ومعارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ موجهاً الى هذه الغاية الادبية منصرفاً بها عن الحياة العملية ولم يجتهد في ان يتعرف ما حولهُ الاَّ بالقدر الذي لم يكن لهُ غنى عنهُ بما يضمن لهُ الغذاء والكساء يتقي بهما ألم الجوع والبرد ولذلك ابطأ جداً في تعرف اسرار الطبيعة وما لها من القوى وما بينها من الروابط للتصرف فيها والانتفاع بها فعرف كيف يروي الزرع ويستدر الضرع وينسج الكساء ويقيم البناء ويذلل الحيوان للنقل وقطع المفاوز بل عرف نواميس الضغط والحل والثقل النوعي فبنى السدود ورفع الاثقال وركب البخار الخ . ولولا طمعهُ لما وضع اساس الكيمياء ولكنهُ لم يحاول ان يتعرَّف طبائع ما فيها من القوى ليصرفها الى غرضهِ فيقاوم الرياح بقوَّة البخار ويثقب الشاسع من الاقطار بقوَّة البرق ويأتي بها اعمالاً تكاد تكون في عداد العجائب لاعتبارهِ ان هذه القوى غريبة عنها

ولم يكن هذا الابطاء عن مجرد تذبذب منهُ في الاهتداء اليها لشدة اشتغالها عليهِ بما هو ضروري في استكشاف كل أمرٍ بل عن مجرد انصرافهِ عنها بما تقدم والدليل على ذلك ان النواميس التي اكتشفها والمنافع التي اهتدى اليها والمآرب ذكرها يصح ان يقال انهُ عرفها منذ اول الامر اي منذ اليوم الذي دخل فيهِ في طور الانسانية ولكنهُ بقي واقفاً بها حتى اليوم . خذ الاضاءة مثلاً فان السراج الذي عرفهُ منذ اربعين سنة هو نفس السراج الذي كان مستعملاً منذ اربعة او خمسة آلاف سنة المكتشف في خرائب مصر ليس في الزيت الذي يضيء بهِ بل في نفس شكلهِ حتى يمكن ان يقال انهُ هو هو الذي كان منذ خمسة عشر الف سنة ايضاً واكثر . ثم قابل ذلك بانواع الاضاءة المختلفة التي استجدت في الخمسين او الستين سنة وخصوصاً في العشرين سنة الاخيرة اي بعد انصراف عقل الانسان الى درس الطبيعة وتعرُّف نواحيها وتخلصهِ شيئاً من ربقة تلك المبادئ التي كانت تصرفهُ عنها والطائفة منها تعاليمهِ وسائر آرائهِ القديمة وقل لي بعد ذلك هل تلك العلوم العالية والآداب الرائعة كما يسمونها هي مرقاة يرقى بها او سلَّم يصعد عليهِ الى العلوم الحقيقية ام هي بالحقيقة عقبات في سبيلها

وكيف يصح ان ينسب ذلك لا الى الاسباب المذكورة بل لتعذرهِ على عقل الانسان

قبل هذا العهد لضعفه وقلة اختباره ومع ذلك اظهر في العلوم الاخرى التي اضطر الى البحث فيها لضرورتها ولعدم حيلولة هذه المبادىء بينهُ وبين النظر فيها نفوقاً عجيباً اريد بذلك علم الاعداد والمساحات فقد تفوّق في هذه العلوم الى درجة لم يبق بعدها من مزيد حتى يصح ان يقال ان العلوم الرياضيَّة بلغتنا عن الاقدمين ناضجة بل محترقة لم يستطع المتأخرون ان يزيدوا عليها شيئاً يذكر . واما في العلوم الطبيعيَّة فبقي واقفاً كالبليَّة رأسها في الوالية لانصرافهِ عن النظر في قواها بالنظر في قوى ما فوق الطبيعة واكتفائهِ منها بالقليل الضروري كما تقدم

فالعلوم الطبيعية هي امُّ العلوم الحقيقية ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية كافةً وان تقدَّم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء فيصحَّ نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ في دليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلو آدابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعيّ ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيودهِ المتناقضة وتقيده بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحدُّ وتصحُّ احكامهُ لتربيتها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ على نواميس الكون

واذا علمت ان دائرة معارف الانسان الطبيعية لم تتسع بعض الشيء وان قوى الطبيعة لم تربط بعضها ببعض بعض الربط الاَّ في القرن الماضي ورأيت ارتقاء الانسان هذا السريع خصوصاً في الربع الاخير منهُ تبدَّت لك اهميَّة العلوم الطبيعيَّة . ولكن من الاسف ان هذا الارتقاء الذي هو في بدئهِ والذي ينتظر منهُ شيء فوق احلام العقل في المستقبل وان كان قد عم الزراعة والتجارة والصناعة والطبَّ ايضاً ان لم يكن من حيث شفاء الامراض فمن حيث طرق منها الاَّ ان الانسان لم يستفد منهُ كثيراً حتى الآن في شرائعهِ وحكوماتهِ وان كانت الحروب قد قلَّت بهِ قلَّة تذكر وتقرَّرت بهِ سيادة الامم واخذ الملوك يميلون من سياء أولهم الى محاذاة البشر فما ذلك الاَّ لصعوبة ازالة الاثر العالق بها من تلك التعاليم الراسخة فيها مدى كل تلك الاجيال المتطاولة والتي ما زالت الحكومات تؤيدها وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنَّى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الاَّ بانقراضها ولكنها منقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يسمونها اليوم حتى يعفو اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى الصائبة في علوم الطبيعة في احضار سيجهز عليها . وكل سنة الآن في هذا السبيل يقام قرون في الماضي

وكأنَّ الاجتماع لا يصلح صلاحاً تامًّا يتكمَّل بهِ ارتقاء اثر تلك التعاليم الاَّ اذا توحَّدت اللغات وتوحَّدت الامم وهذا ايضاً لا بدَّ منهُ والسبيل اليهِ لم يعد بالممتنع اليوم ونهوض امم

المشرق من سباتها دليل عليهِ . انظر الى اليابان كيف ان نور العلم الطبيعي امتدَّ اليها ونهض بها الى اوج الامم الراقية في زمن قليل بعد ان لبثت في سبات عميق مئات السنين بل انظر الى امة الصين العظيمة الراقدة منذ الف سنة ولم تتغير في ضجعتها كيف انها تحركت واخذت تتنبه عينيها . ولا نظن ان نهوض الامم اليوم يكون كما كان في الماضي انتصارًا وحشيًّا وفوزًا همجيًّا تقوم فيهِ دول على اطلال دول وامم على انقاض امم بل سيكون عدوى سلميَّة تتعدَّى من السليم الى الاجرب فتبرئهُ فيصح هو وبقي سواهُ صحيحًا وما مثال انتلاب الامة العثمانية في ثورتها السلميَّة العجيبة ببعيد وكان مثل ذلك في الماضي تجري الدماء فيهِ انهارًا

كل ذلك من معجزات العلم الطبيعي على حداثة عهدهِ وانحصار دائرتهِ وقلَّة عدَّتهِ وغلبة التعاليم القديمة عليهِ واين منها معجزات العلم الالهي المصبوغة بالدم فتوحيد الامم والشتات وانتشار الانسانيَّة الحقيقيَّة والنظر الى البشر كأنهم اخوة واعتبار العالم وطنًا واحدًا كل ذلك لم يتم بهذا العلم الاخير مع انهُ من اقصى مراميهِ وما تمَّ بهِ حتى الآن الاَّ معجزات الحروب والتفريق وقيام الاخ على اخيهِ . ولن يتمَّ ايضًا ولا يتمُّ الاَّ اذا انتشرت العلوم الصحيحة انتشار تلك وعرفت اسرار الطبيعة معرفة تامَّة . ومن غريب المفارقات ان الانسان مع شدَّة علاقتهِ بالطبيعة لم ينظر اليها نظر المستطق لمعرفة اسرارها الاَّ من عهد قريب جدًّا بل صبا عنها الى ما لا علاقة صريحة لهُ بهِ وعلى ذلك شاد كل آثارهِ وافرغ كل مجهودات جسدهِ وعقلهِ والذي وصل الينا من تلك الآثار الحسيَّة والمعنوية بالنظر الى ما لم يصل الينا شيء قليل جدًّا ومع ذلك فهذا الشيء القليل كثير جدًّا بالنسبة الى ما تركهُ لنا الاقدمون من مبادىء العلوم الصحيحة . خذ مثال الكتب الادبيَّة من فلسفة نظرية وفقه على انواعهِ وتواريخ مكذوبة ملفقة واقاصيص خرافيَّة مما لا يزال بين ايدينا وتلدهُ قرائحنا حتى الآن مما لا ينطبق على عقل او نقل فكم هو كثير في كل امة فاذا كانت منقولات التاريخ عن هذه الآثار صحيحة من انها كانت تعدُّ بمئات عشرات الالوف وتشترى بالوف بدرات الاموال على ما تشاء مخيلة المؤرخ الشعرية فلا أسف عليها ان كانت قد تقلدت ويكون عمر قد احسن بحرقها نظائرها اذا صحت الرواية عنهُ فهذه الآثار التي يغنى بها التاريخ ويبالغ في كثرتها مبالغة في الفخر وما كثرتها الاَّ اتفاق معانٍ واختلاف روي والتي يعتبرها جمهور الناس حتى اليوم كنوز كل امة هي بالحقيقة آثار مخلة لضلال الانسان صارفة اياهُ عن النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم . ولكن العلوم الطبيعيَّة وقد اخذ كعبها يعلو اليوم ستتكفل في المستقبل بما لم تستطعهُ الايام

ستأتي البقية

شفاء السل

سيدي الفاضل مدير مجلة المقتطف الاغر

سلام واحترام وبعد فقد طالعت في احدى المجلات الانجليزية ما ترجمتهُ بالحرف الواحد "يصاب بالسل نصف العالم على الاقل فبعضهم يشفى منهُ دون ان يدري بهِ وبعضهم يموت ولذلك سموهُ "داء الانسانية" اما سبب هذه الآفة فهو الافراط في كل شيء ويقولون انهُ ينقل بالوراثة وهذا رأي ضعيف اما دواء هذا الداء فبسيط جدًّا وان شفاءهُ اسهل بكثير من شفاء الحمى التيفوئيدية والجدري ولا دواء لهُ غير شيء واحد وهو الهواء النقي والغذاء الكافي . اما ما يقال عن العلاجات والادوية فهو كلهُ تدجيل في تدجيل وكثيرًا ماتناول المصدورون ادوية فنفعتهم شهرًا او شهرين ثم انتكسوا بعد ذلك من فعل تلك الادوية وانتهى اجلهم ولا ينبغي للمعول ان ييأس من شفائهِ ابدًا فان بعض الاطباء داوى المرضى بالسل عشرين سنة ومع ذلك رزقوا اولادًا وعمَّروا طويلاً الخ" هذا ما طالعتهُ والفي مفوض اليك الامر ومنتظر رأيك انتظار المريض للشفاء او الساري للضياء لاقف على حقيقة الامر

ت . الرافعي

[المقتطف] يظهر لنا ان ما ذكرتموهُ لم تقرأوهُ في كتاب طبي لعالم من الاطباء الثقات بل في اعلان عن دواء للتغذية او ما يشبه ذلك . اما كون السل على انواعهِ كثير الانتشار فامر حقيقي ولكن لا يعلم هل يصاب بهِ نصف الناس او ثلثهم او اكثر او اقل . والهواء النقي والغذاء الكافي خير الوسائل للشفاء منهُ وقد شفي بهما كثيرون من المصابين وهم في الدرجة الاولى من الاصابة اي قبلما تمكن الداء منهم ولكن قلما شفي احد منهُ من الذين وصلوا الى الدرجة الثالثة . وقد رأينا كثيرين اصيبوا بالسل وماتوا بهِ ولم نرَ الا اثنين بلغا الدرجة الثالثة ثم شفيا منهُ على ما يظهر . وسبب السل نموُّ ميكروبهِ في الجسم فاذا كان الجسم قادرًا على مقاومة ذلك الميكروب لم يتمّ فيهِ والا نما وتغلَّب عليهِ . واذا كان الميكروب كثيرًا كما اذا استنشق الانسان هواء كثير ميكروبات السل زمانًا طويلاً او شرب الطفل لبنًا فيهِ كثير من ميكروبات السل فالغالب ان الجسم يعجز عن مقاومتهِ ولاسيما اذا لم يكن الهواء الذي يستنشقهُ نقيًّا . وتصاب القرود بالسل كما يصاب الانسان ولاسيما اذا وضعت في اماكن قليلة الهواء النقي وتشفى منهُ اذا اطلقت في الخراج والقفار حيث الهواء نقيٌّ ولا يعلم للسل دواء شافٍ حتى الآن